@ 399 @ ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين) ^ أي : ^ (وقال) ^ يوسف عليه السلام : ^ (للذي ظن أنه ناج منهما) ^ ، وهو : الذي رأى أنه يعصر خمرا : ^ (اذكرني عند ربك) ^ أي : اذكر له شأني وقصتي ، لعله يرق لي ، فيخرجني مما أنا فيه ، ^ (فأنساه الشيطان ذكر ربه) ^ أي : فأنسى الشيطان ذلك الناجي ، ذكر ا تعالى ، وذكر ما يقرب إليه ، ومن جملة ذلك نسيانه ، ذكر يوسف الذي يستحق أن يجازى بأتم الإحسان ، وذلك ليتم ا أمره وقضاءه . ^ (فلبث في السجن بضع سنين) ^ والبضع : من الثلاث إلى التسع ، ولهذا قيل : إنه لبث سبع سنين ، ولما أراد ا أن يتم أمره ، ويأذن بإخراج يوسف من السجن ، قدر لذلك سببا لإخراج يوسف وارتفاع شأنه ، وإعلاء قدره ، وهو رؤيا الملك . ^ (وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يأيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون * قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين * وقال الذي نجا منهما وادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون * يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون * قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون * ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تحصنون * ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون) ^ لما أراد ا تعالى أن يخرج يوسف من السجن ، أرى ا الملك هذه الرؤيا العجيبة ، التي تأويلها ، يتناول جميع الأمة ، ليكون تأويلها على يد يوسف ، فيظهر من فضله ، ويبين من علمه ، ما يكون له رفعة في الدارين . ومن التقادير المناسبة ، أن الملك الذي ترجع إليه أمور الرعية هو الذي رآها ، لارتباط مصالحها به . وذلك أنه رأى رؤيا هالته ، فجمع علماء قومه ، وذوي الرأي منهم وقال : ^ (إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع) ^ أي : سبع من البقرات ^ (عجاف) ^ ، وهذا من العجب ، أن السبع العجاف الهزيلات ، اللاتي سقطت قوتهن ، يأكلن السبع السمان ، التي كن نهاية في القوة . ^ (و) ! 2 2 ! (سبع سنبلات خضر وأخر) ^ أي : وسبع سنبلات أخر ^ (يابسات) 2 ! 2 ! (يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي) ^ لأن تعبير الجميع واحد ، وتأويلهن شيء واحد ، ^ (إن كنتم للرؤيا تعبرون) ^ فتحيروا ، ولمي عرفوا لها وجها . ^ (قالوا : أضغاث أحلام) ^ أي : أحلام لا حاصل لها ، ولا لها تأويل . وهذا جزم منهم ، بما لا يعلمون ، وتعذر منهم ، بما ليس بعذر ، ثم قالوا : ^ (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) ^ أي : لا نعبر إلا الرؤيا ، وأما الأحلام ، التي هي من الشيطان ، أو من حديث النفس ، فإنا لا نعبرها

. فجمعوا بين الجهل والجزم ، بأنها أضغاث أحلام ، والإعجاب بالنفس ، بحيث إنهم لم يقولوا : لا نعلم تأويلها ، وهذا من الأمور ، التي لا تنبغي لأهل الدين والحجا . وهذا أيضا ، من لطف ا ، بيوسف عليه السلام . فإنه لو عبرها ابتداء قبل أن يعرضها على الملأ من قومه وعلمائهم ، فيعجزوا عنها لم يكن لها ذلك الموقع ، ولكن لما عرضها عليهم ، فعجزوا عن الجواب ، وكان الملك مهتما لها ، غاية الاهتمام ، فعبرها يوسف وقعت عندهم موقعا عظيما . وهذا نظير إظهار ا فضل آدم على الملائكة ، بالعلم ، بعد أن سألهم ، فلم يعلموا . ثم سأل آدم ، فعلمهم أسماء كل شيء ، فحصل بذلك ، زيادة فضله . وكما يظهر فضل أفضل خلقه ، محمد صلى ا عليه وسلم في القيامة ، أن يلهم ا الخلق ، أن يتشفعوا بآدم ، ثم بنوح ، ثم إبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى عليهم السلام ، فيعتذرون عنها . ثم يأتون محمدا صلى ا عليه وسلم فيقول : (أنا لها أنا لها) ، فيشفع في جميع الخلق ، وينال ذلك المقام المحمود ، الذي يغبطه به الأولون والآخرون . فسبحان من خفيت ألطافه ، ودقت في إيصاله البر والإحسان ، إلى خواص أصفيائه ، وأوليائه . ^ (وقال الذي نجا منهما) ^ أي : من الفتيين ، وهو : الذي رأى أنه يعصر خمرا ، وهو الذي أوصاه يوسف ، أن يذكره عند ربه ^ (وادكر بعد أمة) ^ أي : وتذكر يوسف ، وما جرى له في تعبيره لرؤياهما ، وما وصاه به ، وعلم أنه كفيل بتعبير هذه الرؤيا بعد مدة ، من السنين فقال : ^ (أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) ^ إلى يوسف لأسأله عنها . فأرسلوه ، فجاء إليه ، ولم يعنفه يوسف على نسيانه ، بل استمع ما يسأله عنه ، وأجابه عن ذلك فقال : ^ (يوسف أيها الصديق) ^ أي : كثير الصدق في أقواله وأفعاله ، ^ (أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون) ^ فإنهم متشوفون لتعبيرها ، وقد أهمتهم .